

علوم القرآن والتفسير نشأتها وأهم مجالات التأليف فيها

بحث من إعداد

م.د. محمود عبدالرزاق جاسم

جامعة ديالى/ كلية التربية الأساسية

٢٠٠٩م

١٤٣٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

القرآن الكريم كتاب الله الخالد، أنزله على نبيه وحببيه محمد عليه الصلاة والسلام ليكون للناس كتاب رحمة وعلم ودين وحياة عزيزة سعيدة أرادها رب العزة لخلقه، فهمه عليه الصلاة والسلام وقام يعلم الناس ما فيه من تعاليم وأحكام وعلوم، وفهمه الصحابة رضوان الله عليهم كلٌّ منهم بقدر طاقته واستيعابه، وعملوا به وحملوه على أكمل وجه، وقاموا بإيصاله خير قيام، فجزاهم الله عن المسلمين خير الجزاء. ثم أنتشر دين الله (الإسلام) في مشارق الأرض ومغاربها ودخلت الأمم والشعوب فيه، وأحتاج هؤلاء لمن يعلمهم أمور دينهم التي كانت تستقى من القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، كان الصحابة يعلمون الناس الخير وأمور دينهم وفي مقدمتها القرآن الكريم.

وبعد تباعد الزمان ودخول الكثير من الأمم في دين الله أفواجاً أحتاج الناس لفهم القرآن ليقوموا بواجباتهم الدينية على أحسن وجه، ولما كان الداخلون في الإسلام الجدد غالبيتهم من الأعاجم كان فهم القرآن لهم الأول عندهم؛ لأنه كتاب الله تعالى متعبد بتلاوته وعليه مدار الشريعة وهو مصدر التشريع الأول فيها، فكانت تلك العقبة تقف بوجوههم، فضلاً عن ظهور العجمة في اللسان العربي من جهة ثالثة، كانت محفزات للبعض لشرح كتاب الله تعالى والوقوف على ما فيه من علوم وأحكام وشرائع وأحوال ولغات وأنساب وقصص ومواعظ وغير ذلك حتى يفهم كتاب الله على أحسن الفهم ويقوم الناس خير القيام وتؤدي أوامر الله على أحسن وجه؛ فكانت نشأة علوم القرآن الكريم مبتدئة من التفسير الذي هو أصل تلك العلوم كلها وإلى غيره من العلوم التي تجاوزت في تعدادها عند البعض الثمانين.

وقد كتبت هذا البحث أسأل الله تعالى أن ينال الرضا والقبول، مبيناً فيه نشأة علوم القرآن الكريم والبدايات الأولى في التأليف والتأصيل لتلك العلوم محاولاً الوقوف على هذا الموضوع ما استطعت إلى ذلك من سبيل متوخياً اليسر مبتدئاً ذلك بالتحدث عن نشأة علوم القرآن وبيان مفهوم علوم القرآن الكريم والمراد منها، ثم بيان أنواع علوم القرآن الكريم، واستخدام مصطلح علوم القرآن، ومتى كان أول ظهور لهذا المصطلح، وبعد ذلك تطرقت إلى التأليف في علوم القرآن واتجاهات التدوين فيها، وتحدثت عن العلوم التي تفرعت من القرآن

الكريم والمؤلفات التي ألفت فيها، ثم بعد ذلك تحدثت عن التفسير بشيء من التفصيل مبيناً نشأته والفرق بينه وبين التأويل وذكر المؤلفات في التفسير حسب التسلسل الزمني لذلك، ثم وضعت خاتمة للبحث بينت فيها ما كان من نتائج سائل الله تعالى أن يجعله في ميزان أعمالنا إنه الهادي إلى سواء السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباحث

نشأة علوم القرآن الكريم.

لقد كان فهم العرب للقرآن الكريم فهماً دقيقاً وعالياً؛ لأنهم أهل لغة أدب وشعر وبيان وفصاحة، لذلك لم تكن اللغة التي نزل بها القرآن خافية أو غريبة عنهم؛ بل كانت مما يفهمونه حق الفهم ويعلمونها جيداً لأنها لغتهم التي كانت ينطقون بها ويتمجدون بها، ثم إنهم فهموا المراد من القرآن الكريم وفهموا فيه المساواة بين العبد وسيدته وبين جميع الرعية؛ لذلك نفروا منه وقاموا بمحاربة هذا الدين الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام، فكانت حرباً ضد الدين بأسره بما فيه كتاب الله تعالى (القرآن الكريم).

قال ابن جزئي الكلبى: (لقد فهم العرب من القرآن دعوة الخلق الى عبادة الله وإلى الدخول في دينه، وهذا يستدعي : بيان العبادة التي دُعي الخلق إليها ، وذكر البواعث على الدخول فيها وترددهم إليها)^(١)، ومن هنا كانت المعركة التي شنّها كفار قريش على القرآن وعلى دين الإسلام؛ لأنهم فهموا القصد من القرآن الكريم ودين رب العالمين. ثم إن القرآن الكريم لم يكن كباقي الكتب السماوية فهو دين دعوة وهداية وعلم، وهو إلى جميع الخلق ليس خاصاً بملة دون أخرى.

فقد احتوى القرآن على علوم كثيرة أثبتتها آياته الكريمة، ففيه العقائد والأحكام والشرائع وأحوال الأمم السابقة والعلوم والحديث عن الفلك والكون وكيف نشأ وفيه القصص التي عزز القرآن ذكرها بالأدلة العقلية تارة والنقلية تارة أخرى، فهو في آيات يذكر العقيدة والحكم والشرع وغير ذلك مباشرة، وفي بعضها الآخر نجد القرآن الكريم يحاكي القلوب والعقول ويحفز فيها القوة على البحث ويحرك فيها الهمة لإثبات قدرة الخالق عز وجل في مخلوقاته في الأرض وفي السماء .

ومن هنا اشتغل العلماء في القرآن الكريم واعملوا فيه العقول للاستفادة مما حواه من علوم وفنون وآداب وتاريخ وعبر ومواعظ، والعلوم التي جاءت فيه إنما كانت مذكورة في آياته واضحة جلية لمن أراد البحث فيها والغوص في لذة معانيها، قال تعالى: { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا } (النساء: ٨٢)، وقال تعالى: { وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } (الزمر: ٢٧)، وقال تعالى: { وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا } (طه: ١١٣)، وقال تعالى: { بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } (النحل: ٤٤)، وقال تعالى: { وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } (الرعد: ٣)، وغيرها من الآيات الكريمة التي دعت الخلق إلى التفكير في هذا الكون وما فيه من عجائب من خلق الله تعالى وإلى إعمال العقل بما يدور حولنا والتي كان القرآن في جميعها هو الحكم الفاصل والمرجع في فهمها، ومن هنا كانت نشأة علوم القرآن الكريم وتطورها عصرًا بعد عصر.

على أن هذه العلوم ما كانت لتتنحصر تحت نوع واحد أو فن واحد أو علم واحد؛ بل تعددت وتنوعت لتشمل الكثير من العلوم والفنون، قال ابن جزئي الكلبى: (وأن الكلام على القرآن يستدعي الكلام في اثني عشر فناً

(١) ابن جزئي الكلبى، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الفكر، بيروت: (٦/١).

من العلوم وهي: التفسير، القراءات، الأحكام، النسخ، الحديث، القصص، التصوف، أصول الدين، أصول الفقه، اللغة، النحو والبيان^(١)، على أن علوم القرآن كانت قد بدأت قديماً في عصر الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما بدأ بجمع القرآن الكريم وكان هذا التطور في علوم القرآن واضحاً وجلياً في عصر الخليفة عثمان رضي الله عنه، (لقد بدأت علوم القرآن بالتطور منذ عهد الخليفة الراشدي عثمان ابن عفان (رضي الله عنه)، وسمي الخط الذي رسم به القرآن بالرسم العثماني، ثم بعد ذلك انتشرت خطوط النسخ والرقعة والكوفي والفارسي وغيرها، وقد كان العرب في صدر الإسلام يتلون القرآن تلاوة صحيحة سلفية فلما اختلطت الألسنة أمر علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) بوضع ما يصون الألسنة عن الخطأ فألف أبو الأسود الدؤلي^(٢) (ت ٦٩ هـ) كتاباً في قواعد النحو اسمها: أصول النحو العربي^(٣)، وكان أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) في عهده يتساءلون فيما بينهم عن معاني القرآن الكريم فكان أهل البصيرة منهم يحفظون القرآن ويفهمونه ويعلمونه غيرهم من الصحابة والتابعين، وقد كان أهم تلك العلوم: التفسير، فكان هو المقصود بنفسه وسائر العلوم أدوات تعين عليه وتتعلق به أو تتفرع منه، وأما القراءات فإنها بمنزلة الرواية من الحديث ومنها المتواترة والمشهورة الشاذة، وأما أحكام القرآن فهي ما ورد فيه من الأوامر والنواهي وقد صنف فيها الكثير، وأما النسخ فقد وقع في القرآن منه كثير فظهر علم النسخ والمنسوخ^(٤)، وهكذا تفرعت العلوم وتنوعت واتسعت إلى تلك الأنواع الكثيرة.

(١) ابن جزئي الكلبلي، مصدر سابق: (٦/١).

(٢) (أبو الأسود الدؤلي، ويقال: الديلي، العلامة الفاضل قاضي البصرة، السهو بن عمرو على الأشهر، ويقال: اسمه عمرو بن سفيان، ويقال: سارق بن السهو، ولد في أيام النبوة، وهو ثقة وكان أول من تكلم بالنحو، قال يحيى بن معين: مات أبو الأسود في طاعون الجارف سنة تسع وستين، وهذا هو الصحيح، وقيل: مات قبيل ذلك، وعاش خمساً وثمانين سنة، وأخطأ من قال: توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز)، ينظر: البخاري، الكنى، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر، بيروت: (٨٦)، ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، تحقيق: فلايشهر، دار الكتب العلمية، بيروت (١٩٥٩م): (٩٤)، الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت (٩-١٤٠١هـ): (٨١/٤) وما بعدها.

(٣) د. صالح عبد الحكيم شرف الدين، القرآن بلاغته وعلومه وإعجازه، الصفاة، الكويت: (١٦١).

(٤) ينظر: ابن جزئي، مصدر سابق: (٧ / ١)، د. صالح عبد الحكيم، مصدر سابق: (١٦٢).

مفهوم علوم القرآن.

يطلق العلم على المعرفة وإدراك الأشياء على حقائقها، قال الرازي: (عَلِمَ الشيء بالكسر يعلمه علما عرفه)^(١)، وقال صاحب المصباح المنير: (العلم: المعرفة)^(٢)، وفي المعجم الوسيط: (العلم: إدراك الشيء بحقيقته، ويطلق العلم على مجموع مسائل وأصول كلية تجمعها جهة واحدة، كعلم الكلام وعلم النحو وعلم الكونيات وعلم الآثار، وغيرها)^(٣)، واستناداً إلى ما سبق، يقصد بعلوم القرآن: مجموع المسائل التي تتناول الأبحاث المتعلقة بالقرآن الكريم، معرفة هذه الأبحاث لازمة لمن يتصدى لفهم القرآن الكريم وتفسيره^(٤).

أنواع علوم القرآن.

اختلف العلماء في تحديد علوم القرآن الكريم اختلافات شتى؛ فمنهم من يرى أن علوم القرآن ثلاثة أنواع، ومنهم من يرى أنها سبعة وأربعون نوعاً^(٥)، ومن العلماء من جعل لعلوم القرآن ثمانين نوعاً^(٦)، كانت قد توسعت من تلك الأنواع القليلة اليسيرة الأولى، وما زالت تلك العلوم بازدياد وتكاثر؛ لأن القرآن الكريم كنز لكل العلوم، وكتاب فيه الحكمة والبلاغة والبيان وعلوم الكون والفلك والطب والرياضيات والفيزياء وعلوم الحياة وغيرها من العلوم، قال تعالى: { وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } (الزمر: ٢٧). وإذا أردنا أن نفهم القرآن الكريم وندرس آياته علينا أن نلم بعلومه كي نعلم حقيقة النص وما يراد من آياته لنقف عليها ونعمل بما فيها من أحكام وشرع على أحسن وجه، وأرى أن أهم علوم القرآن التي تعين على فهم آياته وتدبرها هي: الأول: علم أسباب النزول، (قال ابن دقيق العيد: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن، وقال ابن تيمية: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية؛ فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب)^(٧)، وهو نوع مهم في تدبر الآيات وفهمها، الثاني: علم جمع القرآن وترتيبه، فيه التثبيت من مصدر ديننا ودستورنا الأول القرآن الكريم، وكيف جُمع على عهد النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وكيف تم جمعه فيما بعد على عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، الثالث: علم الناسخ والمنسوخ: وفيه مراعاة الشريعة الغراء حال المؤمنين في التدرج في الأحكام الشرعية، الرابع: علم القراءات القرآنية وعلم التجويد: إذ

(١) الرازي، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت (١٤٠١هـ - ١٩٨١م): (٤٥٢).

(٢) الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، دار القلم، بيروت: (٥٨٣/٢).

(٣) مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية: (٦٢٤/٢).

(٤) وينظر: د. صالحة عبد الحكيم، مصدر سابق: (١٤٩).

(٥) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت (١٣٩١هـ).

(٦) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت (١٩٧٣م).

(٧) المصدر السابق: (٨٨/١).

به يعلم كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم على الصورة التي نزل بها ليصل إلى الحكم الصحيح في الآية ويقف على الفهم غير المخل فيها، قال ابن الجزري^(١):-

إذ واجب عليهم محتمٌ
قبل الشروع أولاً أن يعلموا
مخارج الحروف والصفات
ليلفظوا بأفصح اللغات^(٢)

الخامس: علم إعجاز القرآن وبلاغته، ليفهم من القرآن المراد منه وما انطوت عليه آياته من علوم وفنون وفلك وطب ورياضيات وغير ذلك، السادس: علم خط ونسخ القرآن، لنعلم كيف يكتب كتاب رب العالمين، أما أهم علوم القرآن الكريم، هو علم التفسير، الذي تحصل به الفائدة والفهم السديد لكلام الله تعالى والعمل الصالح.

في استخدام مصطلح علوم القرآن.

اختلف العلماء في تحديد أول ظهور واستخدام لمصطلح علوم القرآن، نقل الزرقاني أن أول عهد ظهر فيه هذا المصطلح (علوم القرآن)، هو القرن السابع الهجري على ما يبدو عنده^(٣)؛ ولكننا لو تتبعنا الفترة الزمنية لوجدنا أن هذا المصطلح قد استخدم قبل هذا في القرن الخامس الهجري، فقد ألف علي بن إبراهيم الحوفي^(٤) كتاب: البرهان في علوم القرآن، وقيل: البرهان في تفسير القرآن، قال الزرقاني: (ويمكنك أن تستخلص مما سبق أن علوم القرآن كفنٌ مدون استهلته صارخة على يد الحوفي في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس، ثم تربت في حجر ابن الجوزي والسخاوي وأبي شامة في القرنين السادس والسابع، ثم ترعرت في القرن الثامن برعاية الزركشي، ثم بلغت أشدها واستوت في القرن التاسع بعناية الكافيجي وجلال الدين البلقيني، ثم اهتزت وربت وأنبئت من كل زوج بهيج في نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر بهمة فارس ذلك الميدان صاحب كتابي: التحبير والإتقان في علوم القرآن السيوطي عليه رحمة من الله ورضوان، ثم وقف

(١) محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري، يكنى بأبي الخير، كان حافظاً قارئاً محدثاً، وماهراً في المعاني والبيان والتفسير، ألف: شرح المصابيح في ثلاثة أسفار وألف في التفسير والحديث والفقه، وكتاب: النشر في القراءات العشر، في مجلدين، ومختصره: التقريب، وتحبير التيسير في القراءات العشر، وطبقات القراء وتاريخهم الكبرى والصغرى، والجوهرة في النحو، كانت وفاته سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة)، الأندروي، طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة (١٩٩٧م): (٣٢٠).

(٢) محمد بن الجزري، متن الجزرية في معرفة تجويد الآيات القرآنية، المطبعة والمكتبة المحمودية، مصر: (٥).

(٣) ينظر: الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت (١٩٩٦م): (٢٧/١) - (٢٨).

(٤) علي بن إبراهيم بن سعيد أبو الحسن الحوفي ثم المصري النحوي، له تفسير جيد وكتاب إعراب القرآن في عشر مجلدات، وكتب أخرى، أخذ عن الأديوي، وأخذ عنه خلق من المصريين، مات سنة ثلاثين وأربعمائة)، ينظر: الأندروي، مصدر سابق: (١١٠)، السيوطي، طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، مصر (١٣٩٦هـ): (٨٣).

نموها بعد ذلك حتى هذا القرن الأخير، ثم بدأت تنتعش في هذه السنين من جديد وعسى أن تعود سيرتها الأولى^(١)، لذا نجد أن القرن الخامس الهجري هو القرن الذي انطلقت فيه تلك التسمية، كما نجد أن صاحب الفهرست محمد بن إسحاق بن النديم (٣٨٥هـ)^(٢) وهو أقدم من الحوفي ذكر في كتابه المتقدم الذكر أسماء العلماء الذين كتبوا في علوم القرآن وأسماء كتبهم^(٣).

التأليف في علوم القرآن.

كما أسلفنا القول فإن علوم القرآن كثيرة متنوعة متعددة، وأن القرآن معجزة الله تعالى على أرضه وبين خلقه، وأن هذه المعجزة ليست محدودة بزمن معين أو أرض معينة أو جماعة معينين دون غيرهم؛ بل هي عامة لجميع الخلق وفي كل الأرض من رب العالمين إلى يوم الوقت المعلوم، فكان كتاب الله محفزاً للدارسين في كل وقت وحين ليظهر منه علم جديد قائم بذاته يتعلق بفن من فنونه، وفي كل علومه الخير والبركة.

وبعد النظر في علوم القرآن والتدوين فيها نجد أن التأليف فيها قد أتجه اتجاهين:

الأول: يستقل فيه كل علم عن الآخر بكتب خاصة به، كعلم التفسير والقراءات وغريب القرآن وعلم أسباب النزول والوقف والابتداء وعلم الناسخ والمنسوخ ومعرفة المكي والمدني، وغيرها.

الثاني: كتب تقدم خلاصة للكتب المدونة في كل علوم القرآن، نجد فيها مثلاً بياناً ملخصاً للقراءات والكتب فيها إلى جانب بيان ملخص آخر للتفسير والكتب التي كتبت فيه، وآخر للناسخ والمنسوخ والكتب التي كتبت فيه، وآخر لعلم أسباب النزول والكتب التي كتبت فيه، وغيرها من العلوم الأخرى التي تحدثت عن علوم القرآن، وهذا النوع من المؤلفات والكتب هي التي تسمى بكتب علوم القرآن^(٤).

والملاحظ أن التأليف في علوم القرآن كان قد بدأ قديماً، وكذا التنوع في المؤلفات التي ألفت في تلك العلوم فهي تشمل جميع العلوم التي تتعلق بالقرآن الكريم، فمن رسم المصحف والنقط والشكل والقراءات القرآنية ولغة القرآن الكريم إلى علم التفسير وفصائل القرآن إلى علم أسباب النزول إلى الناسخ والمنسوخ إلى المكي والمدني إلى علم المحكم والمتشابه إلى إعراب القرآن إلى جمع القرآن وكتابه إلى غيرها من العلوم التي أخذت بالتنوع والازدياد يوماً بعد يوم، ومن تلك العلوم:

(١) الزرقاني، مصدر سابق: (٢٩/١).

(٢) محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق النديم الوراق، مصنف كتاب: فهرست العلماء، روى فيه عن: أبي إسحاق السيرافي وأبي الفرج الأصبهاني، وروى بالإجازة عن: إسماعيل الصفار، قال ابن النجار: لا أعلم لأحد عنه رواية، قلت: موثوق به، ابن حجر، لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف النظامية/ الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (ط٣- ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م): (٧٢/٥).

(٣) ينظر: د. غانم قدوري الحمد، علوم القرآن الكريم، دار الحكمة، بغداد: (٦).

(٤) ينظر: المصدر سابق: (٥).

- علم أحكام القرآن أو فقه القرآن (الأحكام)^(١)، وهو علم يبحث في الأحكام الفقهية التي تناولتها الآيات القرآنية، وقد الفت فيه الكثير من المؤلفات منها^(٢):-
- أحكام القرآن، للإمام الشافعي (ت ٢٠٤ هـ).
 - أحكام القرآن، للجصاص (ت ٣٧٠ هـ).
 - أحكام القرآن، للكنيا الهراسي علي بن محمد (ت ٥٠٤ هـ).
 - أحكام القرآن، لأبي بكر بن العربي المعافري الأندلسي (ت ٥٤٣ هـ).

ومنها، علم القراءات القرآنية، يتناول هذا العلم القراءات التي قرئ بها القرآن الكريم واشتهرت، ومن أقدم الذين ألفوا في هذا العلم: عبد الله بن عامر اليحصبي^(٣)، ومن المؤلفات الأخرى فيه:-

- السبعة في القراءات، لابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ).
- التبصرة في القراءات، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ).
- التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ).
- حرز الأمانى ووجه التهاني، وقصيدة في أصول القراءة القرآنية، لأبي محمد الشاطبي (ت ٥٩٦ هـ).
- النشر في القراءات العشر، لأبي بكر بن الجزري (ت ٨٣٣ هـ)، وغيرها من المؤلفات في القراءات القرآنية وأصول القراءة.

ومن العلوم الأخرى: علم النحو القرآني ومباحث اللغة فيه، يتناول هذا العلم التطبيقات النحوية في القرآن والمباحث اللغوية في آياته وسوره، ومن المؤلفات فيه:-

- أصول النحو العربي، لأبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩ هـ).
- الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان سيبويه (ت ١٨٠ هـ).
- معاني القرآن، للفراء (ت ٢٠٧ هـ).
- معاني القرآن للأخفش (ت ٢٢٥ هـ).
- المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥ هـ).
- الأصول، لأبي بكر بن السري السراج (ت ٣١٦ هـ).

(١) غانم قدوري الحمد، مصدر السابق: (٨).

(٢) ينظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤١٣هـ-١٩٩٢م): (٢٠/١).

(٣) (عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة، أبو عمران، إمام أهل الشام في القراءة، ثابت النسب إلى يحصب بن دهمان أحد حمير وحمير من قحطان وبعضهم يتكلم في نسبه والصحيح أنه صريح النسب، قال خالد بن يزيد المري: سمعت عبد الله بن عامر يقول: قبض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولي سنتان وانتقلت إلى دمشق ولي تسع سنين) الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق: بشار عواد معروف، وشعيب الأرنؤوط، وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت (١٤٠٤هـ): (٨٢/١).

- المفصل، للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) وغيرها من المؤلفات.

ومن العلوم الأخرى: علم تأريخ القرآن وجمعه، ويقصد به تلك العملية التي قام بها الصحابة -رضي الله عنهم- وتمثلت في جمع القرآن الكريم من صدور الرجال ومن اللخف والصخور التي كتب عليها، وكانت تلك أكبر عملية شهدتها التأريخ في جمع كتاب وتوثيقه توثيقاً علمياً بشكل صحيح متقن ليس فيه ثمة خلل، ومن الذين كتبوا في هذا العلم:-

- أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤ هـ).

- هبة الله بن سلامة (ت ٤١٠ هـ).

- مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ).

ومن العلوم: علم أسباب النزول، وهو علم يبحث في السبب الذي كانت الآية قد نزلت لأجله، وقد ألف فيه الكثير من العلماء منهم:-

- علي بن المديني شيخ الإمام البخاري (ت ٢٣٤ هـ).

- ابن مطرف (ت ٤٠٢ هـ).

- الواحدي (ت ٤٦٨ هـ).

- محمد بن أسعد (ت ٥٦٧ هـ).

- ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ).

- ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ).

- السيوطي (ت ٩١١ هـ).

ومن العلوم: علم إعراب القرآن^(١)، وهو علم يبحث في إعراب آيات القرآن الكريم، وقد ألف فيه:-

- إعراب القرآن، للنحاس (ت ٣٣٨ هـ).

- الحوفي (ت ٤٣٠ هـ).

- مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ).

- البيان في غريب إعراب القرآن، لأبي البركات الأنباري (٥٧٧ هـ)، وغيرهم.

ومن العلوم الأخرى: علم بديع القرآن، وهو علم يبحث ببلاغة القرآن الكريم وجمال بيانه الرائع وحسن سياقه البديع، وقد ألف فيه:-

(١) ينظر: الشيخ قاسم القيسي، تاريخ التفسير، طبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد (١٣٨٥هـ-١٩٦٥م): (٩٢).

- بديع القرآن، لابن أبي الأصبع عبد العظيم بن عبد الواحد القيرواني (ت ٦٥٤ هـ)، وهو أول من ألف فيه، وذكره المولى أبو الخير من جملة علوم التفسير وأنه علم البديع^(١)، وذكر السيوطي هذا العلم في النوع الثامن والخمسين.

ومن العلوم الأخرى: علم الناسخ والمنسوخ، وهو علم يبحث في نسخ الآيات القرآنية بعضها بعضاً والتدرج في أحكام الشريعة ومراعاة حال الأمة، ومن أوائل الذين كتبوا فيه:-

- أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤ هـ).
- أبو داود السجستاني (ت ٢٧٥ هـ).
- أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ).
- أبو القاسم هبة الله بن سلامة (ت ٤١٠ هـ).
- مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ)؛ فقد ألف كتاباً سماه: الإيجاز والإيضاح.

ومنها: علم الآيات المتشابهات، علم يعنى بإبراز القصة الواحدة، وهو فرع من فروع علم التفسير، وقد ألف فيه:-

- الخطيب الإسكافي (ت ٤٢١ هـ)؛ كتاباً سماه: درة التنزيل وغرّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز.

- الراغب الأصفهاني (ت في حدود ٤٢٥ هـ)، كتاباً سماه: درة التأويل في متشابه التنزيل، ولم يصل إلينا.
- محمود بن حمزة الكرمانى (ت في حدود ٥٣٥ هـ) كتاباً سماه: البيان في توجيه متشابه القرآن.
- محمد بن عمر الرازي، كتاباً سماه: غرة التأويل ودرة التنزيل.
- ابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ)، كتاباً سماه: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في بيان متشابه اللفظ من آي التنزيل.
- محمد بن عبد المؤمن المصري ابن اللبان (ت ٧٩٤ هـ)، كتاباً سماه: متشابه القرآن.

ومن العلوم الأخرى: علم أقسام القرآن، جمع قَسَمٍ، إذ جعله السيوطي نوعاً من أنواع علوم القرآن، ومن الذين ألفوا فيه: محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، كتاباً سماه: التبيان في أقسام القرآن.

ومن العلوم الأخرى: علم أمثال القرآن، علم يبحث في الأمثال التي جاءت في القرآن الكريم، ومن الذين كتبوا فيه:-

- محمد بن حسين النيسابوري (ت ٤٠٦ هـ).

(١) ينظر: الشيخ قاسم القيسي، مصدر سابق: (٩٠).

- علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠ هـ).

- وابن القيم (ت ٧٥١ هـ).

ومنها: علم إعجاز القرآن، وقد صنف فيه جماعة من العلماء، منهم: الخطابي، الرماني، الزمكاني، أبو بكر الباقلاني وعبد القاهر الجرجاني وغيرهم من العلماء، على أن مؤلفي تلك الكتب تحدثوا في مؤلفاتهم عن جانب الإعجاز البلاغي واللغوي في القرآن الكريم، وأول من تحدث عن باقي وجوه الإعجاز في القرآن الكريم وأشار إليها هو الإمام فخر الدين الرازي في كتابه: التفسير الكبير، المعروف بـ(مفتاح الغيب).

هذا جانب من علوم القرآن، وهي كما قلنا أنواع كثيرة، ألف فيها الكثير ونضج التأليف فيها وبلغت المصنفات فيها أعداداً كبيرة، ولا يفوتنا أن نذكر أن هناك كتباً احتوت علوم القرآن الكريم وجمعت فنونه ومن أهمها:-

- كتاب: فنون الألفان في عجائب علوم القرآن، لابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ).

- كتاب: جمال القراءة وكمال الإقراء، لعلم الدين السخاوي (ت ٦٤٣ هـ).

- كتاب: المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبي شامية المقدسي (ت ٦٦٥ هـ).

- كتاب: البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤ هـ).

- كتاب: الإتيقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ).

علم التفسير.

سبق القول فيما مضى أن أهم علوم القرآن هو (علم التفسير)، وسنلقي هنا نظرة على التفسير وتعريفه، وكذا التأويل والفرق بينه وبين التفسير، ونتحدث عن نشأة التفسير والتأليف فيه.

تعريف التفسير.

التفسير في اللغة: تفعيلٌ من الفسر، وهو الكشف والبيان، ويقال: هو مقلوب السفر، تقول: أسفر الصبح إذا أضاء، وقيل: بل مأخوذ من التفسرة وهي اسم لما يعرف به الطبيب المريض^(١). وفي الاصطلاح: هو علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحملها، وقيل: علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ^(٢).

تعريف التأويل.

التأويل في اللغة: أصله من الأول، وهو الرجوع، وكأنه صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني، وقيل: من الأيالة وهي السياسة كأن المؤول للكلام وضع المعنى في موضعه^(٣). وفي الاصطلاح: هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح، وقيل: توجيه لفظ متوجه إلى معانٍ مختلفة إلى واحدٍ منها بما ظهر من الأدلة، وقيل: هو ترجيح أحد الاحتمالات بدون القطع والشهادة^(٤).

(١) ينظر: الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب العلمية، بيروت: (٧٨/١-٧٩)، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت: (٥٥/٥)، السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن: (١٧٣/٢)، وما بعدها.

(٢) ينظر: الزركشي، مصدر سابق: (١٣/١)، السيوطي، الإتيقان: (١٧٧/٢).

(٣) ينظر: ابن منظور، مصدر سابق: (٣٣/١١)، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار المعرفة، بيروت، (ط٢-٢٠٠٧م): (٥٨٧).

(٤) ينظر: ابن جزئي، مصدر سابق: (١١/١)، السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن: (١٧٨/١)، وما بعدها.

الفرق بين التفسير والتأويل^(١).

قيل: التفسير والتأويل واحد بحسب عرف الاستعمال، والصحيح تغايرهما، واختلفوا فقيل: التفسير المراد عن اللفظ المشكل، ورد أحد الاحتمالين إلى ما يطابق الظاهر. قال الراغب: التفسير أعم من التأويل وأكثر استعماله في الألفاظ وأكثر استعمال التأويل في المعاني، كتأويل الرؤيا، وأكثره يستعمل في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها، والتفسير أكثر ما يستعمل في معاني مفردات الألفاظ، والتفسير في عرف العلماء: كشف معاني القرآن وبيان المراد، وهو أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره وبحسب المعنى الظاهر وغيره، والتفسير أكثره في الجمل، والتفسير إما أن يستعمل في غريب الألفاظ كالبحيرة والسائبة والوصيلة أو في وجيز مبين بشرح كقوله تعالى: { وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ }، وإما في كلام مضمن لقصة لا يمكن تصويره إلا بمعرفتها كقوله: { إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ } (التوبة: ٣٧)، وقوله تعالى: { وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا } (البقرة: ١٨٩)، وأما التأويل فإنه يستعمل مرة عاماً ومرة خاصاً، نحو الكفر يستعمل تارة في الجحود المطلق، وتارة في جحود الباري خاصة، والإيمان المستعمل في التصديق المطلق تارة وفي تصديق الحق تارة، وإما في لفظ مشترك بين معانٍ مختلفة.

وقيل: التأويل كشف ما انغلق من المعنى؛ ولهذا قيل: التفسير يتعلق بالرواية والتأويل يتعلق بالدرية، وهما راجعان إلى التلاوة والنظم المعجز الدال على الكلام القديم القائم بذات الرب تعالى.

وقال الماتريدي^(٢): التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا والشهادة على الله أنه عنى باللفظ هذا، فإن قام دليل مقطوع فصحيح وإلا فتفسير بالرأي وهو المنهي عنه، والتأويل ترجيح أحد الاحتمالات بدون القطع والشهادة على الله عز وجل.

قيل: ويعتبر في التفسير الإلتباع والسماع، وإنما الاستنباط فيما يتعلق بالتأويل وما لا يحتمل إلا معنى واحداً حمل عليه وما احتمل معنيين أو أكثر، فإن وضع لأشياء متماثلة كالسواد حمل على الجنس عند الإطلاق وإن وضع لمعانٍ مختلفة فإن ظهر أحد المعنيين حمل على الظاهر إلا أن يقوم الدليل وإن استويا كان الاستعمال فيهما حقيقة أو مجازاً أو في أحدهما حقيقة وفي الآخر مجازاً، كلفظة المس فإن تنافى الجمع فمجمّل يتوقف على البيان من غيره وإن تنافيا فقد قال قوم: يحمل على المعنيين.

(١) ينظر: الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية (بيروت)، الطبعة الرابعة (١٤٢٥هـ): (٩٩-١٠٠)، (٦٣٦)، الزركشي، مصدر سابق: (١٤٩/٢)، وما بعدها، السيوطي، الإلتقان في علوم القرآن: (١٧٣/٢)، وما بعدها، الزرقاني، مصدر سابق: (٦/٢).

(٢) (محمد بن محمد بن محمود أبو النصر الماتريدي، صنف كتاب التوحيد وكتاب تأويلات القرآن وكتاب المقالات وكتاب رد أوائل الأدلة للكعبي وكتاب بيان وهم المعتزلة ورد الأصول الخمسة لأبي محمد الباهلي وكتاب مأخذ الشرائع في أصول الفقه وله كتب شتى، كان إمام المتكلمين ومصحح عقائد المسلمين نصره الله بالصراط المستقيم فصار في نصرة الدين القويم، وكانت وفاته في سمرقند في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة)، الأندروي، مصدر سابق: (٦٩-٧٠).

وقال أبو القاسم بن حبيب النيسابوري^(١) والبغوي^(٢) والكواشي^(٣) وغيرهم: التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط، قالوا: وهذا غير محظور عند العلماء بالتفسير وقد رخص فيه أهل العلم وذلك مثل قوله تعالى: { وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ } (البقرة: ١٩٥)، قيل: هو الرجل يحمل في الحرب على مائة رجل، وقيل: الذي يمسك عن النفقة، وقيل: هو الذي ينفق الخبيث من ماله، وقيل: الذي يتصدق بماله كله ثم يتكفف الناس، ولكل منه مخرج ومعنى.

وقال قوم: ما وقع مبيناً في كتاب الله تعالى ومعيناً في صحيح السنة النبوية سُمي تفسيراً؛ لأن معناه قد ظهر ووضح وليس لأحد أن يعترض إليه باجتهاد ولا غيره، بل يحمله على المعنى الذي ورد ولا يتعداه، والتأويل ما استنبطه العلماء العالمون بمعاني الخطاب في آيات العلوم.

والتأويل المستند إلى اللغة والفهم الصحيح والحديث الشريف ومراجعته والوقوف عليه والذي لا ينصر مذهباً بعينه ولا يهتدي إلى ما يريد بالتكلف وحمل الآيات على غير معناها فهذا التأويل ليس محظوراً على العلماء استخراجهم بل معرفته واجبة ولهذا قال الله تعالى: { وَابْتَغَاءَ تَأْوِيلَهُ } (آل عمران: ٧)، ولولا أن له تأويلاً سائغاً في اللغة لم يبينه سبحانه والوقف على قوله: { وَالرَّاسِخُونَ } (آل عمران: ٧)، قال القاضي أبو المعالي: إنه قول الجمهور وهو مذهب ابن سعود وأبي بن كعب وابن عباس، وما نقله الناس عنهم بخلاف ذلك فغلط، فأما التأويل المخالف للآية والشرع فمحظور لأنه تأويل الجاهلين، قال الإمام أبو القاسم محمد بن حبيب النيسابوري: وقد نبغ في زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهدوا إليه لا يحسنون القرآن تلاوة ولا يعرفون معنى السورة أو الآية ما عندهم إلا التشنيع عند العوام والتكثير عند الطعام لنيل عندهم من الحطام، اعفوا أنفسهم من الكد والطلب وقولبهم من الفكر والتعب لاجتماع الجهال عليهم وازدحام ذوي الأغفال لديهم، لا يكفون الناس عن السؤال ولا يأنفون عن مجالسة الجهال مفتضحون عند السير والذواق، زائغون عن العلماء عند التلاق يصادرون الناس مصادرة السلطان ويختطفون ما عندهم اختطاف السرحان، يدرسون بالليل صفحاً ويحكونه بالنهار، إذا سئلوا غضبوا وإذا نفروا هربوا، القحة رأس مالهم والخرق والطيش خير خصالهم، يتحلون بما ليس فيهم يتنافسون فيما يرذلهم الصيانة عنهم معزل وهم من

(١) لم أقف على ترجمته.

(٢) (الحسين بن مسعود بن محمد العلامة أبو محمد البغوي الفقيه الشافعي، يعرف بابن الفراء ويلقب بمحيي السنة وركن الدين، كان إماماً في التفسير والحديث والفقه، له من التصانيف: معالم التنزيل في التفسير وهو التفسير المشهور بتفسير البغوي وشرح السنة والمصابيح والجمع بين الصحيحين والتهذيب في الفقه، كانت وفاته في شهر شوال سنة ست عشرة وخمسمائة وقد جاوز الثمانين)، الأدرسي، مصدر سابق: (١٥٨) وما بعدها.

(٣) (الشيخ أحمد بن يوسف الشيباني موفق الدين أبو العباس الموصلي الكواشي، ولد بكواشة وهي قلعة من نواحي الموصل واشتغل في العلوم حتى بدع في القراءات والتفسير والعربية؛ كانت وفاته في سنة اثنتين وثمانين وستمائة، صنف التفسير الصغير والتفسير الكبير المسمى بالتبصرة)، الأدرسي، مصدر سابق: (٢٥١-٢٥٢).

الخنى والجهل في جوف منزل، وقد قيل: من تحلى بغير ما هو فيه فضحته شواهد الامتحان وجرى في السباق جرية سكيت نفته الجياد عند الرهان.

في نشأة التفسير.

إن أهمية التفسير تكمن في أن فهم القرآن الكريم لا يمكن إلا به، وكذا استخراج وفهم الأحكام الشرعية، وبه يصل المرء إلى البر والتقوى والعمل الصالح والفوز بالدرجات العلا، قال السيوطي: (أحتيج إلى الشروح لأمر ثلاثة، إحداها: كمال فضيلة المصنف فإنه لقوته العلمية يجمع المعاني الحقيقية في اللفظ الوجيز فربما عَسَرَ فهم مراده فقصد بالشرح ظهور تلك المعاني الخفية ومن هنا كان شرح بعض الأئمة تصنيفه أدل على المراد من شرح غيره له، وثانيها: إغفاله بعض تنمات المسألة أو شروطاً لها اعتماداً على وضوحها أو لأنها من علم آخر فيحتاج الشارح إلى بيان المحذوف ومراتبه، وثالثها: احتمال اللفظ لمعانٍ كما في المجاز والاشتراك ودلالة الالتزام ما لا يخلو عنه بشر من السهو والغلط أو تكرار الشيء أو حذف المبهم وغير ذلك فيحتاج الشارح للتنبيه على ذلك، أما شرفه فلا يخفى قال تعالى: { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا } (البقرة: ٢٦٩)، وأخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ }، قال: المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله^(١).

ومما لا شك فيه أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان المفسر الأول وسنته عليه الصلاة والسلام المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، ولما كان القرآن الكريم كتاب الله الخالد المصدر الأول في التشريع كان الاهتمام به أكثر من غيره؛ لأنه العروة الوثقى من تمسك به هُدي إلى صراط مستقيم، ومن هنا كان الاهتمام بالقرآن الكريم وتلاوته وتفسيره وعلومه بهذا القدر الكبير من جميع المسلمين، وكان الصحابة رضوان الله عليهم هم أهل السبق في هذا المجال، وقد اشتهر منهم في التفسير عشرة هم: الخلفاء الراشدون، عبد الله بن مسعود، عبد الله بن عباس، أبي بن كعب، زيد بن ثابت، أبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير؛ أما الخلفاء فأكثر من روي عنهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه والرواية عن الثلاثة نزررة لتقدم وفاتهم، وأما أكثر هؤلاء العشرة رواية فهو عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقد كان ترجمان القرآن، ثم ظهر بعد ذلك جيلٌ جديد تعلم على يد الصحابة والتزموا خطهم الذي ساروا عليه وهم طبقة التابعين كانوا خير حامل لهذا العلم.

وقد اتصلت تلاوة القرآن بكل ما ارتبط بها من علوم القرآن وأحكام التجويد وإعجازه وترتيبه وعظمة تركيبه

(١) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: (١٧٤/٢-١٧٥).

حتى اشتهر من التابعين الكثير منهم بالتفسير^(١)، وكان أن ظهرت مدارس للتفسير في الأمصار الإسلامية اشتهرت منها ثلاث هي: مدرسة مكة، مدرسة المدينة المنورة ومدرسة العراق (الكوفة)^(٢).

مدرسة مكة.

أصحاب هذه المدرسة هم أعلم الناس بالتفسير؛ لأنهم أصحاب عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وهو رأس هذه المدرسة، كان له تلامذة مجيدون هم أصحاب هذه المدرسة منهم: سعيد بن جبير (ت ٩٢ هـ)، مجاهد بن جبر المكي (ت ١٠١ هـ)، طاووس بن كيسان اليماني (ت ١٠١ هـ)، عطاء بن أبي رباح (ت ١١٤ هـ) وعكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥ هـ).

مدرسة العراق (الكوفة).

رأس هذه المدرسة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وله تلامذة هم أصحاب هذه المدرسة منهم: مسروق بن الأجدع (ت ٦٣ هـ)، الأسود بن يزيد (ت ٧٥ هـ)، علقمة بن قيس (ت ١٠٢ هـ)، عامر بن شراحيل الشعبي (ت ١٠٥ هـ)، قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٧ هـ) والحسن البصري (ت ١٢١ هـ).

مدرسة المدينة.

ورأس هذه المدرسة أبي بن كعب رضي الله عنه، وله تلامذة هم أصحاب هذه المدرسة منهم: أبو العالية رفيع بن مهران (ت ٩٠ هـ)، محمد بن كعب القرظي (ت ١١٨ هـ) وزيد بن أسلم (ت ١٣٦ هـ). هذه أهم مدارس التفسير التي ذاع صيتها وانتشر طلابها في بقاع الأرض يعلمون الناس تفسير القرآن الكريم ويبيّنون لهم أصوله، كانت مجالسهم منتشرة وحلقاتهم العلمية ممتلئة بطلبة العلم زاخرة بهم، تخرج الكثير على أيديهم وكتبوا وألفوا في التفسير حتى وصل إلينا.

(١) ينظر: محمد العفيفي، مقدمة في تفسير الرسول، مكتبة ذات السلاسل، الكويت (١٣٩٩ هـ): (١٤٥).

(٢) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، الزرقاني، مصدر سابق: (٤٨٧-٤٩٠)، ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، دار التربية، بغداد: (٧١)، محمد العفيفي، مصدر سابق: (١٤٥) وما بعدها، د. محسن عبد الحميد، التفسير، بغداد: (١٤)، عبد الله شحاتة، تأريخ القرآن والتفسير، دار المعارف، مصر: (٩٥-٩٦)، أبو اليقظان الجبوري، دراسات في التفسير ورجاله، القاهرة: (٧٩) وما بعدها.

التأليف في التفسير.

مر التفسير بمراحل وأدوار، ففي الدور الأول كان حفظه في الصدور وهو عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) والصحابة رضوان الله عليهم.

وفي الدور الثاني وهو عهد التابعين بدأ التدوين في التفسير^(١)، ففي هذه المرحلة نجد ما رواه مجاهد عن ابن عباس (رضي الله عنه)^(٢)، وكان أول كتاب ظهر في التفسير كتاب سعيد بن جبير (ت ٩٥ هـ)، وكذا كتاب جابر بن يزيد الجعفي (ت ١٢٧ هـ)، وغيرهم^(٣).

وفي الدور الثالث ظهر علماء صنّفوا في التفسير كتباً ومن هؤلاء: سفيان بن عيينة (ت ١٩٨ هـ)، وكيع ابن الجراح (ت ١٩٧ هـ)، إسحاق بن راهويه (ت ٢٣٨ هـ)، شعبة بن الحجاج (ت ١٦٠ هـ)، يزيد بن هارون (ت ٢١٧ هـ)، عبد الرزاق بن همام (ت ٢١١ هـ)، أبو بكر بن أبي شيبة (ت ٢٣٥ هـ) وعبد بن حميد (ت ٢٤٩ هـ) وغيرهم^(٤).

وفي الدور الرابع بدأ العلماء بترتيب تفسير الآيات بحسب ترتيب المصحف الشريف، منهم: إسماعيل بن عبد الرحمن السدي (ت ١٢٧ هـ)، عبد الملك بن جريج (ت ١٥٠ هـ) ومحمد بن إسحاق (ت ١٥١ هـ)، وقد نقل مضامين هذه التفاسير: محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، ثم ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧ هـ)، محمد بن يزيد الربيعي ابن ماجه (ت ٢٧٥ هـ)، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ)، أحمد ابن موسى النيسابوري ابن مردويه (ت ٤١٠ هـ)، أبو الشيخ محمد بن محمد بن جعفر البستي (ت ٣٥٤ هـ) وابن المنذر محمد بن إبراهيم (ت ٣١٨ هـ) وغيرها من التفاسير^(٥).

وفي الدور الخامس ظهرت تفاسير مشحونة بالفوائد محذوفة الأسانيد منها: تفسير أبي إسحاق الزجاج (٣١٠ هـ)، المسمى: معاني القرآن وإعرابه، تفسير أبي علي الفارسي، تفسير أبي بكر النقاش، تفسير أبي جعفر النحاس (ت ٣٣٩ هـ) وتفسير: التفصيل الجامع لعلوم التنزيل، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ). وفي الأدوار التي تلت هذا الدور ظهرت طبقة من العلماء بدأت تأخذ في التفسير أشكالا أخرى كل منهم بحسب مناهج النحوي والفقهية والأثري والصوفي والفلسفي والبلاغي والعلمي وغير ذلك^(٦).

(١) ينظر: قاسم القيسي، مصدر سابق: (٤٩)، وما بعدها.

(٢) ينظر: د. غانم قدوري الحمد، مصدر سابق: (٨).

(٣) ينظر: قاسم القيسي، مصدر سابق: (٥٣).

(٤) ينظر: المصدر السابق: (٥٤-٥٥).

(٥) والظاهر أن هذه التفاسير كانت تفاسير أثرية في الغالب تعتمد الأسانيد وما روي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) والصحابة والتابعين وأهل العلم.

(٦) ينظر: قاسم القيسي، مصدر سابق: (٥٥)، وما بعدها.

ظهور كتب التفسير حسب التسلسل الزمني.

في المائة الأولى كان الصحابة وتلامذتهم من التابعين يحفظون التفسير في صدورهم.

في المائة الثانية ظهرت تفاسير: الجعفي، شعبة، ابن عيينة، مجاهد والسدي وغيرهم.

في المائة الثالثة ظهرت تفاسير: إسحاق بن راهويه، ابن ماجه، تفسير بقي بن مخلد (ت ٢٧٦ هـ)،

أحمد بن محمد النحوي الدينوري (ت ٢٩٠ هـ) وتفسير القرطبي وغيرها.

في المائة الرابعة ظهرت تفاسير: الرماني علي بن عيسى، تفسير الحاكم، تفسير ابن مردويه، وأبي

الحسن الأشعري وتفسير ابن عطية الدمشقي (ت ٣٨٣ هـ) وغيرها.

في المائة الخامسة ظهرت تفاسير: الجويني (ت ٤٧٨ هـ)، وتفسير الكشف والبيان للثعلبي (ت ٤٢٧ هـ)،

علي بن حبيب الماوردي (ت ٤٥٠ هـ)، تفسير مكي بن أبي طالب، تفسير الحوفي وتفسير ياقوت التاويل

في تفسير القرآن للغزالي (ت ٥٠٥ هـ) وغيرها.

في المائة السادسة ظهرت تفاسير: الكشاف للزمخشري، معالم التنزيل للبغوي (ت ٥١٦ هـ)، تفسير

مفتاح الغيب للفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ)، تفسير العكبري (ت ٥٣٨ هـ) وتفسير زاد المسير لابن الجوزي

(ت ٥٩٧ هـ) وغيرها.

في المائة السابع ظهرت تفاسير: البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ)، تفسير الزمكاني (ت ٦٥١ هـ) وتفسير

النسفي (ت ٧٠١ هـ) وغيرها.

في المائة الثامنة ظهرت تفاسير: ابن عقيل عبد الله بن عبد الرحمن (٧٦٩ هـ)، تفسير الزركشي

(ت ٧٤٩ هـ)، تفسير أبي حيان (ت ٧٤٥ هـ) وتفسير ابن كثير (٧٧٤ هـ) وغيرها.

في المائة التاسعة ظهرت تفاسير: تفسير أبي السعود العمادي (ت ٨٨٢ هـ)، تفسير البلقيني صالح بن

السراج (ت ٨٦٨ هـ) و تفسير الجلالين وغيرها.

في المائة العاشرة ظهر تفسير الغزي محمد بن الحمد العامري (ت ٩٦٠ هـ).

في المائة الحادية عشرة ظهر تفسير علي القاري (ت ١٠١٠ هـ).

ثم تدرجت التفاسير بعد ذلك ، فظهر: تفسير: فتح القدير للشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ)، روح المعاني للألوسي

(ت ١٢٧٠ هـ)، ثم تفسير: الجواهر وغيرها من كتب التفسير، وهذا التنوع والعدد الكبير إن دل على شيء

فإنما يدل على أن القرآن معجزة الله تعالى وهي مستمرة إلى يوم الدين يوم يقوم الناس لرب العالمين.

الخاتمة.

يمكن إيجاز البحث بالآتي:-

- إن علوم القرآن الكريم كثيرة متنوعة كل منها يتصل بشيء ويرجع إليه.
- إن البدايات الأولى في علوم القرآن كانت سهلة ميسورة متنوعة ويغلب عليها طابع الاجتهاد الفردي.
- النشأة الأولى كانت منذ عهد النبي محمد (عليه الصلاة والسلام)، وانه كان الموجه للصحابة ومن بعدهم.
- التفسير غير التأويل، وهو علم يعتبر الأصل في علوم القرآن كلها وهو قائم بذاته دون الاعتماد على غيره من العلوم الأخرى؛ بل هي تعتمد عليه.
- إن مراحل العلوم جميعها كانت قد بدأت أولاً بالحفظ في الصدور، ثم بعد ذلك بالتدوين والاتساع والانتشار الكبير.
- هناك الكثير من المؤلفات سواءً أكانت في علوم القرآن التي كان ما يؤلف منها كعلم بذاته ومنها ما كان مجموعاً مع بقية العلوم أم في التفسير، وهي كثيرة لا تعد، وقد فُقد منها الكثير.
- علوم القرآن الكريم تتصل بكتاب الله تعالى الخالد القرآن الكريم، فالاعتناء بها واجب على كل مسلم والتدبر في آيات الله تعالى مهمة تقع على جميع المسلمين وعليهم القيام بها، وهذا ما كان من فعل الصحابة والتابعين، ما تقر بع الأعين وترفع به الرؤوس.
- علم التفسير أهم علوم القرآن الكريم، وهي ترجع إليه ولا يمكن لأي علم أن ينفصل عن علم التفسير.
- المؤلفات في التفسير لم تكن تحمل الطابع نفسه؛ بل تدرجت هي الأخرى واتسعت وأخذت طابع العصر الذي ظهرت فيه فمن تفسير بالأثر وتفسير بالرأي وتفسير فقهي وتفسير لغوي وتفسير علمي وهكذا.

المصادر والمراجع.

- الأدنروي، أحمد بن محمد، طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة (١٩٩٧م).
- البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، الكنى، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر، بيروت.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم (ت ٧٢٨هـ)، مقدمة في أصول التفسير، طبع دار التربية، بغداد.
- الجزري، محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ)، متن الجزرية في معرفة تجويد الآيات القرآنية، المطبعة والمكتبة المحمودية، مصر.
- ابن جزئي الكلبی، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الفكر، بيروت.
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤١٣هـ-١٩٩٢م).
- ابن حبان البستي (٣٥٤هـ)، مشاهير علماء الأمصار، تحقيق: م. فلايشهر، دار الكتب العلمية، بيروت (١٩٥٩م).
- ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف النظامية- الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة (١٤١٣هـ).
- الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق: بشار عواد معروف وشعيب الأرنؤوط وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت (١٤٠٤هـ).
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت (١٤٠١هـ-١٩٨١م).
- الزرقاني، محمد بن عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت (١٩٩٦م).
- الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله (٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت (١٣٩١هـ).
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت (١٩٧٣م).
- السيوطي، طبقات المفسرين، تحقيق: محمد علي ناصر، مكتبة وهبة، القاهرة (١٣٩٦هـ).
- د. صالحة عبد الحكيم شرف الدين، القرآن الحكيم إعجازه وبلاغته وعلومه، الصفاة، الكويت (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م).
- صديق حسن خان القنوجي (١٣٠٧هـ)، أبجد العلوم في الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت (١٩٧٨م).

- عبد الله شحاته، تأريخ القرآن والتفسير، دار المعارف، مصر.
- د. غانم قدوري الحمد، علوم القرآن الكريم، دار الحكمة، بغداد.
- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب أبو إسحاق (٨١٧هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية (٢٠٠٧م).
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، دار القلم، بيروت.
- قاسم القيسي، تأريخ التفسير، طبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد (١٣٨٥هـ-١٩٨٥م).
- د. محسن عبد الحميد، التفسير، بغداد.
- محمد العفيفي، مقدمة في تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم، مكتبة ذات السلاسل، الكويت (١٣٩٩هـ).
- مجموعة مؤلفين (د. إبراهيم أنيس، د. عبد الحلیم منتصر، عطية الصوالحي ومحمد خلف الله أحمد)، المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية.
- ابن منظور، محمد بن مكرم الأفرقي (٧٧١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت.